﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: 117]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر اللّٰهُ شيئًا من أحوال المؤمنين، ذكر شيئًا من أحوال الكافرين ليتَّضح الفرقُ بين القبيلين، وبعد أن ذكر أموالهم وأولادهم وأنّها لن تُغني عنهم من اللّٰه شيئًا، وضَّح هنا الأمر بمثال مُشاهد في الحياة لإقناع المُتلقِّين أنَّ أموال هؤلاء في الحياة الدُّنيا لن تغني شيئًا فهي ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾؛ فقد أهلكوها في حياتهم الدّنيا بإنفاقها في غير ما أمر اللّٰه تعالى.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صِرٌّ﴾: جذر الكلمة هو (صَرَّ): بمعنى الشَّدِّ، والارتفاعِ، والبَرْدِ، والصوتِ، ومنه الإصرارُ: العَزْمُ على شيءٍ لا يُهَمُّ بالإقلاع عنه، والإصرارُ على الذَّنب. وصَرُّ الأذنين: ضمٌّ وشَدٌّ لهما يمنع انتشارهما، كما يُصِرُّ الحمار أذنيه. والصِّرُّ: البَرْد الذي يضربُ كلَّ شيءٍ ويَحُسُّه، ويجعل الأشياء تتقبَّض وتتجمَّد، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾. وصَرَّ الجُنْدبُ صريرًا، وكلُّ صَوْتٍ شِبْهُ ذلك فهو صرير إذا امتدَّ، فاذا كانَ فيه تخفيفٌ وتَرجيع في إعادةٍ ضُوعِفَ؛ كقولك: صَرْصَرَ الأخطَبُ صَرْصَرَةً. وريحٌ صَرْصَرٌ: ذات صِرٍّ، وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: 6]، ويقال: ذاتُ صَوْتٍ، والصَّرْصَرُ نَعْتٌ لها من البَرْدِ. وصَرَّ البابُ، وصَرَّتِ الآذانَ اذا سَمِعتَ لها صَوْتًا ودَوِيًّا. والصَّرَّةُ: شِدَّة الصِّياح، وتقول: جاءَ في صَرَّةٍ[1].

2) ﴿أَصَابَتْ﴾: جذر الكلمة هو (صَوَب)، أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نُزُولِ شَيْءٍ وَاسْتِقْرَارِهِ قَرَارَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصَّوَابُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، كَأَنَّهُ أَمْرٌ نَازِلٌ مُسْتَقِرٌّ قَرَارَهُ، والقاصد إذا

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المُحكم، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، والسمين، عمدة الحفاظ: (صرر).

أدرك المقصود بحسب ما يقصده يقال أصاب كذا؛ أي وجد ما طلب، والمُصيبة أصلها في الرَّمية ثم اختُصَّت بالنّائبة، نحو: قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران: 165]، وقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ [النّور: 43]. وصابَ السّهم، لغة في أصَابَ، وفي المثل: (مع الخواطئ سهم صائبٌ)؛ و(الصَّوْبُ) لغة في الصّواب والصَّواب ضد الخطأ[1].

والمعنى هنا: نَزَلت وهبَّت.

3) ﴿حَرْثَ﴾: جذر الكلمة هو (حَرَث): أَصْلَانِ مُتَفَاوِتَانِ في المعنى: أَحَدُهُمَا الْجَمْعُ وَالْكَسْبُ، وَالثَّاني أَنْ يُهْزَلَ الشَّيْءُ. فَالْأَوَّلُ الْحَرْثُ، وَهُوَ الْكَسْبُ وَالْجَمْعُ، وَبِهِ سُمِّي الرَّجُلُ حَارِثًا؛ لتصوُّر معنى الكسبِ منه، والثاني: الإهْزالُ يُقَالُ: حَرَثَ نَاقَتَهُ: هَزَلَهَا؛ و: أَحْرَثَهَا أَيْضًا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَنْصَارِ لَمَّا قَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: "مَا فَعَلَتْ نَوَاضِحُكُمْ؟" قَالُوا: "أَحْرَثْنَاهَا يَوْمَ بَدْرٍ". والحَرْث: قَذْفُك الحَبَّ في الأرض، والحَرْث والحِراثة: العملُ في الأرض زرعًا كان أو غَرْسًا؛ لأنه يسبقه إثارةُ الأرض، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ [الواقعة: 63، 64]، والحرث: الزَّرْع لأنه يخرج من الأرض بذلك: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾، وكلُّ ﴿حَرْثَ﴾ في القرآن فهو بهذا المعنى، وأمَّا قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 223] فهذا على سبيلِ التمثيل؛ لأنهنَّ مُزْدرع بذور الرجال. ويُسْتَعْمَلُ ﴿حَرْثَ﴾ في ثَمَراتِ الأعْمالِ ونَتائِجها بِطَرِيقِ الاسْتِعارَةِ المَبْنِيَّةِ عَلى تَشْبِيهِها بِالغِلالِ الحاصِلَةِ مِنَ البُذُورِ، كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى: 20][2].

4) ﴿فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾: جذر الكلمة هو (هَلَكَ): الهُلْكُ: الهَلاكُ. والاهْتِلاكُ: رَمْيُ الإنسان نَفسَهُ في تَهلُكةٍ. والتَّهْلُكَةُ: كلُّ شيءٍ يصيرُ عاقبتُه إلى الهَلاكِ. والقَطاةُ تَهْتَلِكُ من خَوْفِ البازيِّ؛ أي: ترمي نفسَها في المَهالِك. وقومٌ هلكَى وهالكون. وقد استعمل القرآنُ الكريمُ لفظَ الهَلاك في الموت المعتاد بلا أخذ عذاب، كما في قوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: 176]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (صوب).

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المُحكم، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حرث)، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/29.

وكذا ما في يوسف: [الآية: 85]، والقصص: [الآية: 88] ويس: [الآية: 31]، والجاثية: [الآية: 24]، والملك: [الآية: 28]، كما استعمله في إنفاد المالِ إنفاقًا لا بتدمير في: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۞﴾ [البلد: 6]، وفي سائر المواضع في معنى الإفناء الذي فيه مؤاخذة، كما هنا[1].

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يضربُ اللهُ مثلًا لما ينفقُه الكفارُ من أموالهم التي فتنَتهم وشغَلَتهم عن الحقِّ، ويصدون بها عن سبيل الله، ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تَبْطلُ وتضمحلُّ، كمن زَرَع زرعًا يرجو نتيجتَه ويؤمِّل إدراك ريعِه، فبينما هو كذلك إذ أصابتْه ريحٌ فيها بَرْدٌ شديدٌ مُحرِقٌ، فأهلكت زرَعه، ولم يحصل له إلا التعبُ والعناءُ وزيادة الأسفِ، فكذلك هؤلاءِ الكفارُ لم تنفعْهم أموالُهم وقت حاجتهم إليها، بعد ما كانوا يرجون من عائدها نفعًا، فالكفر أبطل ثوابَ أعمالِهم التي يرجونها، والله لم يظلمهم - تعالى عن ذلك، إيماءً إلى أنَّ الإنسان هو الذي يُولِّدُ المصائب لنفسه، بمعاكسته لسنن الله، والشّرائع كلُّها منطبقة على السُّنن - وإنما ظلموا أنفسهم؛ بسبب كفرهم به وتكذيبهم رسله، ومنعِ حقّ الله[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:**

أَعْظَمُ مَوَانِعِ قَبُولِ النَّفَقَةِ فِي الْخَيْرِ الْكُفْرُ بِاللهِ تَعَالَى

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ عمَّا قبلَه؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، وذلك أنَّ قوله سبحانه: ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ يُثيرُ سؤالًا عن مآلِ إنفاقِهم في الحياة الدُّنيا في وجوهِ الخير؛ مِن إطعامِ الطَّعامِ، وإغاثة المَلْهُوف، وبَذْلِ الدِّياتِ عنِ القَتْلَى، فجاء الجواب: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾[3].

(1) الخليل، العين، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هلك).
(2) الثّعلبي، الكشف والبيان: 3/132، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 65، والموصلّي، أولى ما قيل: 2/529.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/61.

ويحتَمِلُ أن يكون بين الجملتين كمالُ الاتِّصالِ؛ وذلك لأنَّ قولَه: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ بمنزِلَةِ البيانِ لِقَوْلِهِ: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾[1]، فما يُنْفِقُون مِنَ الأموال في هذه الحياةِ بأساليبهم المختلفة في مُعادَاةِ اللّٰهِ تعالَى ورَسُولِهِ؛ تالفٌ هالكٌ، سَيُصِيبهُ مِنَ الفناءِ ما أصاب الحرثَ الذي أصابته الرِّيحُ الصِّرّ فأهلكته، وهكذا فلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُم أموالُهم ولا أولادُهم مِن اللّٰهِ شيئًا.

**نُكْتَةُ إِيرَادِ اسمِ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:**

حَـقَـارَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ

في التَّصريح باسْمِ الْإِشَارَة ﴿هَٰذِهِ﴾ من قَوْلِه تَعَالَى: ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إطنابٌ؛ لإمكانِ حذفِهِ مع بقاءِ أصلِ المعنى، بأن يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (مثل ما يُنفقون في الحياة الدُّنيا)، وفي إيرادِ الاسم اسم الإشارةِ نُكْتَتانِ:

إحداهما: الإيماءُ إلى حقارة الدُّنيا بالإشارة إليها باللَّفْظِ الدَّالِّ على القُرْبِ.

والأخرى: الإشعارُ بِأنّ نفقاتهم يَذْهَبُ أثرُهَا في هذه الحياةِ الدُّنيا، فَلَا يَتعدّاها إِلَى الآخرَةِ بحصولِ الأجرِ لهم فيهَا، فَفِي الإتيانِ باسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾ حصرُ مَرْدُوداتِ الْإِنْفَاقِ ونَفْعِه، ودَفْعِه عَن صاحبه، وأنَّهُ لا يَكُون إلّا في هذه الحياة الدّنيَا.

**بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾:**

تَـتَـرَاكَـبُ الـصُّـوَرُ الدُّنْيَـوِيّـةُ زِينَـةً وَغُـرُورًا، وَلَكِنّهَا تَـبْـقَـى عَـاجِـزَةً أَمَـامَ حَـقِـيـقَـةِ الزَّوَالِ

في معنَى الصِّرِّ الوارِدِ في قول اللّٰه تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ وجهان:

أحدهما - وهو قول أكثر المفسرين، وأهل اللّغة -: أنّ الصِّرَّ البردُ الشَّديد، وبه قال ابنُ عباس وغيرهُ.

والآخَرُ: أنّ الصِّرَّ هو السّموم الحارّة التي تَقْتُلُ، وهو روايةٌ عن ابنِ عباس، وبه قال ابنُ الأنباري مِن علماءِ اللُّغة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/62.

وعلى كلا الوَجْهَيْنِ يجري التَّشبيهُ ويَلْتَئِم معناهُ، ويحصلُ مقصودُهُ منه؛ لأنّها سواءٌ أكان في الرِّيح بردٌ شديدٌ؛ فهي مُهْلِكَة، أو حرٌّ؛ فهي مهلكة أيضًا.

وقوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾؛ أي زرعَهُمْ، وقوله: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي بالكفر والمعاصي ومنعِ حقِّ اللّه فيه، وقوله: ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أي: فأهلكت الرّيحُ الزّرعَ، والآيةُ تمثيلٌ لنفقات الكُفّار في ذهابها وقتَ الحاجة إليها، كمثل زرع أصابتْهُ ريحٌ باردة فأهلكته، أو نارٌ فأحرقته؛ فلم ينتفعْ بِهِ أصحابُه[1].

والغرضُ: تشبيهُ ما أنفقوا وإبطال ثوابِه، وعدم الانتفاع بالحرث الذي هلك بالريح، فشبَّهه بالرّيح المهلكة للحرث.

والتّشبيه: مركّبٌ؛ وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصودُ من الجملتين، وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين، وهو المسمَّى عند البلاغيِّين بالتَّشبيه التَّمثيليِّ.

ومن التّشبيه: ما حصلت فيه المشابهة بين المقصودِ مِنَ الجُمْلَتَين وبينَ أجزاءِ كلّ واحدة مِنْهُما؛ فإنْ جَعَلْنَا هذا المَثَلَ مِن هذا القسم؛ ففيه وجهانِ:

أحدهما: أن يكونَ التّقديرُ: مَثَلُ الكُفْرِ في إهلاك ما ينفقون، كمثل الرِّيح المُهْلِكَةِ الْحَرْثَ[2].

والوجه الآخَرُ: مَثَلُ ما ينفقون كمثلِ مَهْلَكِ الرّيح وهُوَ الحَرْثُ، والمقصودُ مِن ضَرْبِ هذا المَثَلِ هُو تشبيهُ ما ينفقون بِشَيْءٍ يَذْهَبُ بالكلِّيَّة ولا يَبْقَى مِنْهُ شَيْء[3]، عقوبةً لَهُمْ؛ لأنّ الإهلاكَ عن سخط أشدُّ.

وعلى القول بتركيبِ التَّشبيه؛ ففيهِ تشبيهُ مَا أَنْفَقُوه وبَذَلوه، ثُمَّ ضاعَ عليهم ثوابُهُ؛ بحَرْثِ زُرَّاعٍ ضَرَبَتْهُ صِرٌّ فاسْتَأْصَلَتْهُ ولم يبقَ لَهُم فيه منفعَةٌ مَا، وكذلك هؤلاءِ لا ينتفعُونَ بما أنفقوهُ في الدّنيا ولا في الآخرَةِ، وهُوَ مِن التّشبيه المركّب، ولذلك لم يُعْتَنَ بإيلاءِ كَلِمَةِ التّشبيه لِلرّيح دُونَ الحرث[4].

(1) الخازن، لباب التأويل: 1/408.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/34، والزّمخشري، الكشّاف: 1/434، والخازن، لباب التأويل: 1/408.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 1/434، والخازن، لباب التأويل: 1/408.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/34.

وقد ضَرَب اللّهُ تعالى مثلًا لأعمالِهم المتعلِّقَة بالأموالِ؛ فشبّه هيئةَ إنفاقِهم المُعْجِبِ ظاهرُها، المخيِّبِ آخرُها، حين يُحْبِطُها الكفرُ، بهيئة زرعٍ أصابَتْهُ ريحٌ باردة فأهلكته، وهو تشبيهُ معقولٍ بمَحسوس[1].

قال الزّمخشريّ: "شبّه ما كانوا يُنفقونه من أموالِهم في المَكَارم والمفاخِرِ وكَسْبِ الثّناء وحُسْنِ الذِّكْرِ بينَ النّاس، لا يَبْتَغُون به وجهَ اللّهِ، بالزّرع الذي حسَّهُ البردُ فصارَ حُطامًا، أو هُوَ ما يتقرّبون بهِ إلى اللّه مَعَ كُفْرِهم"[2]، وقال ابن عطية: "معناه: المثالُ القائمُ في النّفوس من إنفاقهم الذي يَعُدُّونه قُرْبَةً وحِسْبَةً وتحنُّثًا، ومن حَبْطِهِ يومَ القيامة وكَوْنِه هَباءً منثورًا وذهابِهِ، كالمثالِ القَائِمِ في النُّفُوسِ من زَرْعِ قومٍ نَبَتَ واخضرّ وقَوِيَ الأملُ فيه، فهبّت عليه ريحٌ صِرٌّ مُحْرِقةٌ، فأهلكته"[3].

## نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الرِّيحِ وَصِفَاتِهَا عَلَى الْحَرْثِ فِي صُورَةِ الْمُشَبَّه بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ﴾:

**الْفُجَاءَةُ فِي الرِّيحِ أُنْمُوذَجٌ عَلَى الْفُجَاءَةِ فِي زَوَالِ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا**

اشتملَتْ صُورَةُ المُشَبّهِ بِهِ على عنَاصِر عدّةٍ، مِنْهَا: (الرِّيح)، وَ(الصِّرّ)، وَ(الْإِصَابَة)، و(الْحَرْثُ)، و﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، ومِن مقتضيات هذا التّشبيهِ أَنْ يُقدّم الحرثُ على الرّيح ومتعلِّقاتها؛ كالصِّرّ والإصابة؛ وكان يُتَوَقَّعُ أن يُقال: كَمَثَلِ حرثٍ أصابَتْهُ ريحٌ؛ لأنّه يُشبِّهُ ما يُنفقون بالحرث.

وفائدةُ هذَا التّقديم والتّأخير بينَ عناصر المشبّه به: هو بيانُ أنّها - أي: الرّيح - حاضرةٌ لِأَخْذِ كُلِّ ما سيُلقى في هذه الأرض، فَنَفَقاتُهُم كالشَّيءِ الذي تَأْخُذُهُ الرّيحُ قبلَ أن تَسْتَقِرَّ في الأرض.

وتَقْدِيمُ الرّيحِ هُنَا لِلِاخْتِصَاص[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/61.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/434.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/495.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/434.

**بَلَاغَةُ الِاحْتِبَاكِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾:

إِنْفَاقُ الكُفَّارِ أَمْوَالَهُمْ لَا يُعْقِبُهُمْ غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَالتَّعَبِ

وقعَ التّشبيهُ في الآيةِ بين أربعَةِ أشياء: اثنين مقابل اثنين، وذُكِرَ واحدٌ مِنَ المُشَبَّهَيْنِ وتُرِكَ ذِكْرُ الآخر، ثمّ ذُكِرَ أَحَدُ الشّيئين المُشبّه بِهِمَا ممَّا لا يُقابلُ المشبَّهَ المذكورَ أوَّلًا، وتُرِكَ ذِكْرُ الآخر، ودلَّ المذكُورَانِ عَلَى المَتْرُوكَيْنِ[1]، وهذا اختيار ابنِ عطيَّة، وقال: وهذه غايةُ البلاغة والإعجاز[2].

وهذا الحذفُ مِن قَبِيل الاحتباكِ وهو المسمَّى: الحذفَ المقابَلِيَّ أو حذفَ التَّقابُلِ، وأكّد ذلك ما ذكره البقاعيّ في قوله: "ومَثَلُ إنْفَاقِهم لهُ في كونهِ ضَرَّهم ولم يَنْفَعْهم، مَثَلُ الرّيح في كونها ضرّتِ الزّرع ولم تَنْفَعْهُ، فلمّا كانت الرّيحُ الموصوفةُ أمرًا مشاهدًا جليًّا؛ جُعِلَتْ في إهلاكها مثلًا لضياع إنْفَاقِهم الذي هو أمرٌ معنويٌّ خفيّ، ولمّا كان الزّرعُ المحترق أمرًا محسوسًا؛ جُعِل فيما حصل له بعد التّعب مِنَ العطب مثالًا لأمرٍ معقولٍ، وهو أموالُهم في كون إنفاقهم إيّاها لم يُورِثْهم شيئًا غير الخسارة والتَّعب، فالمَثَلَانِ: ضَيَاعُ الزَّرعِ والإنفاقُ، وضياعُ الزَّرع أظهر؛ فَهُوَ مَثَلٌ لِضَيَاع الإنفاق؛ لأنَّه أخفى، وقد بانَ أنَّ الآية مِنَ الاحتباك؛ حُذِفَ أولًا مَثَلُ الإنفاقِ لِدِلَالَةِ الرّيح عليه، وثانيًا الحرثُ؛ لدِلَالَةِ مَا يُنفق عليه"[3].

**بَلَاغَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:

الْإِنْفَاقُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ مِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ

قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يحتَمِلُ أن يكونَ واردًا على طريقة المجاز المرسلِ، بعلاقة الجزئيَّة؛ إذْ ذُكِرَ الإنفاقُ، والمرادُ عمومُ أعمال الخيرِ، فإنَّ الكفَّار لا ينتفعونَ في الآخرةِ بشيءٍ من أعمالهم التي عملُوها في الدُّنيا، وإنَّما نُصَّ على

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/495، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/314.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/495.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 2/140.

خصوص الإنفاقِ؛ لتعدِّي نفعِهِ وظهورِ أثرِه في الحياةِ، وفكِّ الكُرَبِ بهِ، وإذا كان هذا ممَّا لا ينفعُهم في الآخرةِ فغيرُه أَوْلَى وأحرَى.

### دِلَالَةُ الِالْتِفَاتِ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْخِطَابِ فِي (تُنْفِقُونَ):

زِيَادَةُ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ

قرأ ابن هرمز والأعرج (تنفقون) بالتّاء، ففيه التفاتٌ من الغَيبةِ إلى الخطاب؛ إذ تقدَّمه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ وهو أسلوبُ غَيْبَةٍ، فجاء بعدَهُ - في قراءةِ مَن ذُكر -: (تُنْفقونَ) على إرادةِ المذكورين قبلُ وهم الذين كفرُوا، وهو خِطابٌ، ونكتةُ العدول عن الغَيبة إلى الخطابِ زيادةُ التَّرهيبِ والتَّوبيخِ، والتَّسجيلُ عليهم بما يؤولُ إليه أمرُهم؛ إذ إخراجُ ذلك في صورةِ الخطاب أبلغُ.

### دِلَالَةُ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾:

أصوات الرّيح تؤثر في النّفوس وتحدث رهبة وشدّتها وبردها تهلك الحرث

في قولِه: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ دلالةٌ على شِدَّةِ بَرْدِ هذه الرِّيح، حتَّى كأنَّ جِنْسَ الصِّرِّ مظروفٌ فيها، وهي تَحْمِلُهُ إلى الحَرْث[1]، ويحتَمِلُ أن تكونَ الظرفيةُ مجازًا؛ بأنْ جُعِل الموصوفُ ظرفًا للصِّفة[2].

وارتفاعُ (صِرٌّ) على أنّه فاعل بالمَجْرُور قبله؛ إذْ قَدِ اعتُمِدَ لأنَّه وقَعَ صِفَةً للرّيح، فإنْ كان الصِّرُّ البَرْدَ - وهو قول ابنِ عبَّاس وجماعةٍ-، أو صوتَ لهيبِ النّارِ أو صوتَ الرِّيح الشَّديدة؛ فظاهرُ كونِ ذلك في الرّيح[3]، فأفادَ وَصْفُ شدّةِ البَرْدِ أو الصّوت دلالةً على سُرعة هذه الرّيح واقتلاعِها لِلزُّروع.

وَإِنْ أُريدَ الصَّوْتُ؛ فهو على سبيل المجاز المُرْسَل، إذْ ذُكِرَ المُسبَّبُ، وأُرِيد السّببُ، وهو سرعة الرّيح، والعلاقة المُسبّبيّة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/61.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/315، والسّمين، الدرّ المصون: 3/360.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/315.

**دِلَالَةُ (صِرٌّ) فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾:**

في الصرّ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّه البرد، وهذا قول الأكثرين.

والثاني: أنّه النّار، وهو مرويٌّ عن ابنِ عبَّاس، قال ابن الأنباريِّ: "وإنّما وُصِفَت النّار بأنّها صِرّ؛ لِتَصْوِيتِها عندَ الِالْتِهَابِ".

والثَّالث: أنَّ الصرّ: التّصويتُ والحركةُ مِنَ الحَصَى والحِجَارة، ومنه قولهم: صَرِيرُ النّعلِ، ذَكَرَ هذا ابنُ الأنباريِّ[1].

والصِّرُّ: البَرْدُ الشّديد المُميت لكلِّ زرع أو ورق، يهبُّ عليه فيتركه كالمُحْتَرِقِ، ولم يُعْرَف في كلام العرب إطلاق الصِّرِّ على الرّيح الشّديد البَرِدِ، وإنّما الصِّرُّ اسمُ البَرد[2]، وأمّا الصَّرصَر فهو الرّيح الشّديدة، وقد تكون باردةً.

وجوّز الزَّمخشريُّ في الكشّاف أَن يكون الصِّرُّ هنا اسمًا لِلرِّيح الْبَارِدَةِ، وجعَلَهُ مُرَادِفًا لِلصَّرصر[3]، وهذا الشَّائِعُ: أن يُطلَقَ على الرِّيحِ البَارِدَةِ كالصّرصر، فهو في الأصلِ مَصْدَرٌ نُعِتَ بِهِ، على جهةِ المبالغةِ، كقولك: بَرْدٌ بَارِدٌ[4].

وإن كان الصِّرُّ صفةً لِلرّيح كالصَّرْصَر، فيكون التَّقدير: فِيهَا قِرَّةٌ صِرٌّ، كما تقول: بَرْدٌ بَارِدٌ، فَحُذِف الموصوفُ وقامتِ الصِّفةُ مَقَامَه[5].

ولا مانع من إرادةِ المعاني الثَّلاثة كلّها؛ فتكون النَّارُ باردةً شديدةَ الصَّوتِ، ويكونُ أثرُها شبيهًا بأثرِ النَّارِ.

**فِـي تَـعَـدُّدِ الِاحْـتِـمَـالَاتِ إِغْـنَـاءُ المَـعَـانِي وَتَكْثِيرُهَا**

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/317.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/61.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 1/433.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/34.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/315، والسّمين، الدرّ المصون: 3/360.

**بَرَاعَةُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾:**

بُطْلَانُ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ مِنْ أَصْلِهَا

الحَرْثُ في الأصلِ: مَصْدَرُ حَرَثَ الأرضَ؛ إذا شقّها بآلَةٍ لِيَزْرَعَ فِيهَا أو يَغْرِسَ، وأُطْلِقَ هذا المصدَرُ عَلَى المحرُوثِ، فصار يُطلق على الجنّات والحوائطِ وحقُولِ الزّرع[1]، فهو مصدر بمعنَى اسم المَفْعُولِ، فقوله: ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ أي: محروثَ قَوْمٍ، والمعنى: أصابتِ الرِّيحُ أرضًا مَحْرُوثَةً، والمرادُ: أصابت زَرْعَ حَرْثٍ[2].

فَ (الحَرْثُ) هُنَا: مَجَازٌ، علاقتُهُ التَّعلُّقُ الاشتقاقيُّ؛ بإطلاق المصدَرِ وإرادة اسم المفعول، ونكتَتُهُ: المبالغةُ في بيان إهلاك هذه الرِّيح، حتَّى كأنَّها أهلكتِ الحرثَ نفسَهُ لا مجرَّد المحروثِ، وفيه إيماءٌ إلى حبوط أعمال الذين كفرُوا، وأنَّها باطلةٌ من أصلِهَا.

ويحتَمِلُ أن يكونَ قوله: ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ مجازًا باعتبار ما كانَ، فالزَّرع احتاج الى أرض محروثَةٍ، فذُكِرَ المَحْرُوثُ مِنَ الأرض، وأُرِيدَتِ الزّروعُ المخضرّة، وفيه: إيماءٌ إلى أنَّ الرِّيحَ الصِّرّ قد أعادَتْهُ إِلَى ما قَد كانَ عَلَيْهِ قبلَ الزّرع، وكأنّما لم يَكُنْ فِي الْأَصْلِ، وَلَمْ يَغْنَ بِالْأَمْسِ.

**بَلَاغَةُ الْإِدْمَاجِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾:**

قُبْحُ الظُّلْمِ وَشِدَّةُ عُقُوبَةِ أَهْلِهِ

في قول اللّه تعالى: ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ إدماجٌ في ثنايَا التّمثيل، وهو يُكْسِبُ التّمثيلَ تَفْظِيعًا وتشويهًا وهُوَ ليس جُزْءًا مِنَ الهَيْئَةِ المشبَّهِ بها، وقَدْ يَذْكُرُ البُلَغَاءُ مَعَ المُشبّهِ بِهِ صفاتٍ لا يَقْصِدُون مِنْهَا غير التّحسينِ أو التّقبيح، وكذا في قوله: ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، إذْ ليس هذا التَّركيبُ مِن أصلِ التّشبيهِ.

والسَّامعون عالِمُون بأنّ عِقابَ الأقوامِ الذين ظَلَمُوا أنفسَهُم غايةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/183.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/61.

في الشّدّة، فذِكْرُ وَصْفِهم بِظُلْمِ أَنْفُسِهم تذكيرٌ للسَّامِعِين بِذَلِكَ علَى سَبِيلِ المَوْعِظَةِ[1]، فَيَكُونُ ذلكَ مِن قَبِيلِ الْإِدْمَاجِ.

### بَلَاغَةُ التَّرَقِّي فِي وَصْفِ الرِّيحِ:

التَّرَقِّي فِي ذِكْرِ الْجَزَاءِ الْأَشَدِّ فَالْأَشَدِّ أَوْقَعُ فِي الْقَلْبِ وَأَدْخَلُ فِي التَّرْهِيبِ

قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ في موضعِ جرٍّ نعتٌ لِـ ﴿رِيحٍ﴾، وفي ذلك تَرَقٍّ في الوصفِ؛ إذْ بدأ أوَّلًا بقوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾؛ والرّيح لا تُستعمَلُ غالبًا إلَّا في العذابِ، ثمّ انتقل إلى الوصفِ بالمَجْرُورِ، فقال: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾، ثمّ بالوصفِ بالجملةِ فقال: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾.

وفائدةُ ذلكَ: بيانُ عظيمِ ما فَعَلَتْهُ الرّيحُ بالزّرعِ، في التَّدرُّجِ بذكْرِ العاقبةِ السَّيئةِ لهم.

### بَلَاغَةُ الِاسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾:

أَقْدَارُ اللهِ تَعَالَى وَاقِعَةٌ لَا تُخْطِئُ مَنْ وُكِّلَتْ بِهِ

الإِصَابَةُ رَمْيُ السّهم إلى الهَدَفِ فَيُصِيبه، وقولُهم: صابَ السّهمُ؛ هُوَ لُغَةٌ في أَصَابَ، والصَّوْبُ لغةٌ في الصّواب، وهو ضدُّ الخطأ[2]، فهذه الرّيحُ لم تُخطئ هذا الزّرعَ وأَتَتْ عليه بِقَصْدٍ، وكأنَّ راميًا يرمي السّهم، فيصيب الهدف، فكذلك هذه الرّيح، قد أُرْسِلَت بِقُدْرَةِ اللّهِ تعالى إلى هَدَفِها، وهذا على سَبِيلِ الاستعارَةِ، فقد شُبِّهت الرِّيحُ بالسَّهْمِ الذي من شأنِهِ الإصابةُ، فحُذِفَ المشبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمِهِ وهو الإصابةِ، على طريق الاستعارة المكنيَّةِ.

ويحتَمِلُ أن تكون الاستعارةُ تصريحيَّةً في تشبيه إهلاكِ الرِّيحِ الزَّرْعَ بإهلاكِ السَّهْمِ الغرضَ الذي يُصيبُهُ، فحُذِفَ المشبَّهُ وصُرِّحَ بالمشبَّهِ به وهو الإصابة.

والوجهان في إجراءِ الاستعارةِ متآيِلَانِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/62.
(2) الرّازي، مختار الصّحاح: (صوب).

### دِلَالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الظُّلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾:

سِيَاقُ الْكَلَامِ مُعَيِّنٌ لِلْمَعَانِي الْمُحْتَمِلَةِ، فَلَا يَنْبَغِي إِغْفَالُهُ

حُذِفَ متعلّق الظُّلم في قوله: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، وفي تعيينِهِ قولان:

أحدهما: ظلَمُوهَا بالكُفْرِ والمَعَاصِي، ومنع حقِّ الله تعالى، فَكَنّى عَنِ المعاصِي بِظُلْمِ النّفس؛ لأنَّ وبالَ الكفرِ وما ذُكرَ معه راجعٌ إلى النَّفْسِ.

والآخرُ: ظلمُوا أنفسَهُم بِأَنْ زَرَعُوا في غيرِ وَقْتِ الزّرع[1]؛ أي: وضعوا أفعالَ الفلاحةِ في غيرِ مَوْضِعِها مِن وقت أو هيئة عمَلٍ.

والأوَّلُ أقوَى لوجهين:

أحدهما: أنَّ ظلمَ النَّفس في عُرْفِ الشَّرع يُرادُ به ظلمُها بالكفر فما دونَهُ، فينبغي حَمْلُ ما وردَ على هذا المعنَى إلَّا لدليلٍ قويٍّ صارفٍ.

والآخَرُ: أنَّ حملَهُ على معنَى ظلمِهم أنفسَهُم بالزِّراعةِ في غير إبَّانِهَا لا يتناسَبُ مع التَّهديد الذي سيق المثلُ من أجلِه؛ لأنَّ عادةَ من يفعل ذلك لا يَجْنِي عَمَلُهُ شيئًا ذَا بالٍ، فما الذي تكون الرِّيحُ قد أهلكتْهُ؟!

### بَرَاعَةُ الْإِطْنَابِ بِالتَّتْمِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾:

الْعُقُوبَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ سُخْطٍ تَكُونُ أَشَدَّ وَأَبْلَغَ

في ﴿فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾ إطنابٌ بالتَّتْميم، فهو تَتْميمٌ لِلْمَقْصُود مِنَ التّمثيل بما يُفيده مِنَ المبالغة؛ لأنّ الإهلاكَ مشعِرٌ بالسّخط، والعقوبة عن سُخْطٍ أبلغُ وأشدُّ[2].

تَجَدُّدُ الظُّلْمِ وَتَنَوُّعُهُ إِصْرَارٌ عَلَى ظُلْمِ النَّفْسِ وَإِذْلَالِهَا

### دِلَالَةُ الِالْتِفَاتِ فِي صِيَغِ الْأَفْعَالِ بَيْنَ ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ و﴿يَظْلِمُونَ﴾:

وفي قوله تعالى: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الْتِفَاتٌ في صيَغِ الأفعالِ،

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/317.

(2) الخفاجي، حاشية على تفسير البيضاوي: 1/401 - 402.

وذلك بين قولِه: ﴿ظَلَمَهُمْ﴾ بصيغةِ الفعل الماضي وقولِه: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع.

ونكتةُ الالتِفَاتِ إلى المُضارع: الدِّلالَةُ على التّجدّد والاستمرارِ؛ لبَيَانِ ما هُم فيه مِنَ الإصْرَارِ على الظُّلْمِ، فالذي أصابهم من العقوبَةِ كان بسببِ ظُلْمِهم أنفسَهم، وإصْرَارِهم على ذلكَ، وتجدُّدِه فيهم واستمرارِهم عليه بِمَنْعِ حقّ اللّهِ تعالى فيه.

وهذا مثل ضربه اللّه لإبطالِ أعمالِهم في الآخرة[1].

**دِلَالَةُ جِنَاسِ الِاشْتِقَاقِ بَيْنَ: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ و﴿ظَلَمَهُمْ﴾ و﴿يَظْلِمُونَ﴾:**

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ جوَّز الزَّمخشريّ وغيره أن يَعُودَ الضّمير على المُنْفِقين، أي: ما ظلمَهُم بأَنْ لَم تُقْبَلْ نفقَاتُهم، وأَن يَعُودَ على أصحابِ الْحَرْثِ، أي: ما ظلمَهُم بإِهْلَاك حَرْثِهم، ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي، واختار ابن عطيَّة الأوَّلَ؛ وليس هو للقوم ذوي الحرث، لأنّهم لم يذكروا ليرد عليهم، ولا لِيُبَيِّنَ ظلمهم، وأيضًا قوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يدلّ على فعل الحال في حاضرين[2].

**وَبَـالُ الظُّـلْـمِ رَاجِـعٌ عَـلَى الظَّالِمِ، وَالْجَزَاءُ مِـنْ جِـنْـسِ الْعَمَلِ**

وكلا المعنيَيْنِ في نفسِهِ حقٌّ؛ فاللّهُ سبحانه لم يَظْلِمْ أحدًا منهم، لا المُنْفِقين ولا أصحابَ الحرث.

وبين ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ و﴿ظَلَمَهُمْ﴾ و﴿يَظْلِمُونَ﴾ جناسُ الاشْتِقَاقِ، ونُكْتَتُهُ: التَّنبيهُ على الظُّلْمِ وبيانُ عاقبتِهِ الوخيمَةِ، وَأنّهُ مِحْوَرُ مَا حلّ بِهِم مِنَ الهلاكِ والدّمار، وأَنّ ما بُذل مِنَ الجُهْدِ والوقْتِ والمَالِ في الحَرْثِ والزّرع، قد ذهب كلّه بسبب ظُلْمِهم، وأنّ ظُلْمَهُمْ عائدٌ على أَنْفُسِهم، جزاءً لهم من جنسِ فعلِهم.

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/317.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/496.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فيه حذفٌ، والتَّقدير: (يَظْلِمُونَهَا هُمْ)، وحَسَّنَ حذفَ هذَا الضَّمير العلمُ به، وكونُ ذَلِكَ واقعًا فاصلةً للآية، فلو صرّح به لزال التَّناسُبُ الصَّوتِيُّ بين الآي[1].

**نُكْتَةُ تَكْرَارِ النَّفْسِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

النَّفْسُ هِيَ مَدَارُ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَإِصْلَاحُهَا مَكْمَنُ النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

في تكرار ذِكْرِ النَّفس في قولِه تعالى: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لِبَيَانِ أنَّها لُبُّ الموضوعِ وأُسُّهُ الذي تَنَاوَلَتْهُ الآيَةُ الكريمة، إذْ ذلك يُومِئُ إلى أنَّ النَّفسَ عليها مدارُ الصَّلاحِ والفسادِ، وأنَّ إصلاحَهَا هو المَنْجَى ممّا قد يؤدّي إلى الدّمار والهلاك في الدّنيا والآخرة.

**تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ قَوْلِهِ:** ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ **وَقَوْلِهِ:** ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57]:

التَّارِيخُ حَافِلٌ بِالشَّوَاهِدِ عَلَى مَصَارِعِ الظَّالِمِينَ، وَلَا يَزَالُ ظُلْمُ النَّفْسِ يَتَجَدَّدُ فِي أَفْرَادٍ مِنْ بَنِي آدَمَ دُونَ اعْتِبَارٍ بِمَنْ سَبَقَ

الضَّمائر في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ راجعةٌ إلى الذين كفروا، والمعنى: أنّ الله لم يَظْلِمْهُم حينَ لم يَتقبّل نفقاتِهم - وفي الضَّمير الأوَّلِ وجهٌ آخرُ تقدَّم ذكرُه قريبًا -؛ بَل هُمُ الذين تسبَّبوا في ذلك إذْ لَم يُؤمنوا؛ لأنَّ الله تعالَى جعلَ الإيمانَ شرطًا في قَبُول الأعمال، فلمّا أَعْلَمَهُم بذلك وأَنْذَرَهُم؛ لَم يَكُنْ عقابُه بعدَ ذلكَ ظُلْمًا لهم.

وفيه إيذانٌ بأنَّ اللهَ تعالَى لا يُخَالِفُ وَعْدَهُ مِنْ نَفْيِ الظُّلم عن نفسه[2].

وقد ورد قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57]، في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى هي: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57]، وقوله: ﴿وَظَلَّلْنَا

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/316.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/62.

عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأعراف: 160]، وقوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ [التوبة: 70]، وقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ [النحل: 33]، وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: 40]، وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ [الروم: 9]، وقد جاءت في جميع هذه الآيات حكاية عن الأمم السّابقة، عن أقوام أتاهم العذاب، فأخذهم الله بذنوبهم، وانتهى الأمر.

أمّا قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾؛ فإنّه لم يَرِد إلَّا في هذا الموضع مِن كِتَابِ الله تعالى؛ لِبَيَانِ احْتِمَال أن يَتُوبَ بعضُ هؤلاءِ عَن ظُلْمِهم أنفسَهم فيتوب الله تعالى عليهم، ويَزُول ظُلْمُهم.

**دِلَالَةُ أُسْلُوبِ الْعَكْسِ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾:**

**الإِغْـــرَاقُ فِي الظُّـلْمِ مُوجِبٌ أَشَدَّ الْعُقُوبَاتِ**

قُدِّمَ الظُّلْمُ في قولِهِ: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ ثُمّ ذُكِرَت الأنفسُ، ثُمّ عُكِسَ ذلك القولُ في خِتَامِ الآيةِ في قوله: ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، فَقُدِّمت الْأَنفُسُ ثُمَّ أعقبَهَا ذكرُ الظُّلْم، ونُكْتَتُه: أنّهُ حَصَرَ الْأَنْفُسَ بَيْنَ فِعْلَي الظُّلْم؛ وجُعِلَ الأوّلُ مَاضِيًا ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾؛ لِبَيَان ثباتِهم على الظُّلْم ورسوخِه فيهم، وخُتِمَ بالفِعْلِ المضارعِ ﴿يَظۡلِمُونَ﴾؛ لِدِلَالَةِ تجدُّدِ الظُّلْم واسْتِمْرَارِهم عليه، وهذا مشعِرٌ باستحقاقِهم العقوبةَ؛ لتجذُّرِ الظُّلْمِ فيهم ماضيًا وحاضرًا.

**نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى عَامِلِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾:**

قُدِّم المفعول ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ على عاملِه ﴿يَظۡلِمُونَ﴾؛ لقصدِ الاختِصَاصِ،

وَبَـالُ الظُّـلْـمِ يَـرْجِـعُ عَـلَى صَاحِبِهِ خَيْبَةً وَخَسَارًا

ولِبَيَانِ شَنَاعَةِ ما يَفْعَلُونَهُ بأنفسهم، فإنّهم بِمَا يَفْعَلُونَهُ إنّما يَخْتَصّونَ أَنْفُسَهُم بالظُّلم، ووبالُ ظُلْمِهم راجِعٌ إليهم.

والضَّمير في ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ لِلْمُنْفِقينَ، علَى مَعْنَى: وما ظلمَهُمُ اللّه بِأَنْ لَم يَقْبَل نفقَاتِهم، ولكنَّهم ظلموا أنفسَهُم إِذْ لَم يَأْتُوا بِهَا مُسْتَحِقَّةً لِلْقَبُولِ، أو لأصحَابِ الْحَرْثِ الذين ظَلَمُوا أنفسَهم، أي: وما ظلمَهُمُ اللّه بِإِهْلَاكِ حَرْثِهِم، ولَكِنْ ظَلَمُوا أنفسَهم بارْتِكَابِ ما اسْتَحَقُّوا به العقوبةَ[1].

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الريح والرياح:

قال الرَّاغب: "والرِّيح: معروفٌ، وهي فيما قيل: الهواءُ المتحرِّكُ، وعامَّةُ المواضع الَّتي ذكر اللّه تعالى فيها إرسالَ الرِّيح بلفظ الواحد؛ فعبارةٌ عنِ العذاب، وكلُّ موضع ذُكر فيه بلفظ الجمع؛ فعبارةٌ عنِ الرَّحمة"[2]، ويرادُ بها هنا: ريحُ العذاب الَّتي تدمِّرُ، وتُهلكُ. وأفرد (ريحًا)؛ لأنّها مختصة بالعذاب، كما في قوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ﴾ [الأحقاف: 24]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [الرّوم: 51]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: 19]، وقوله: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذّاريات: 41]. كما أن الجمع مختص بالرّحمة؛ فقال: ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: 46]. وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: 22]، وقوله: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ [الأعراف: 57]. ولذلك روي: "اللهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا، اللهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا"[3].

وهذا التفريقُ كلُّه مبني على الأغلبِ في القراءات، واعتبارا بالأغلب من الآيات، نحو: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: 46] و﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/34.
(2) الراغب، المفردات: (روح)، وينظر: الآلوسي، روح المعاني: 2/252.
(3) الطبراني، المعجم الكبير، الحديث رقم: (11533).

﴿١٥﴾ [الذّاريات: 41]؛ إذ جاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22]، لكن هناك قراءاتٌ في الموضع الواحد يأتي بها الإفراد والجمع؛ لذلك يقالُ في التفريق بين استعمال لفظي الرياح والريح أنَّ من وحَّد الريح، فلأنه اسم جنس يدلُّ على القليل والكثير، ومن جَمَع فلاختلاف الجهاتِ التي تهب منها الرياح[1].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/198.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»